الأدب والفن في أسبوع

الاستاذ عباس خضر

قاصمة بحبس ديوان أخيه :

كتبت في الأسبوع الماضي كلمة عن « ذكرى الزين » أجملت فيها الكلام على ديوان المرحوم الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين . وقد فهم القراء مما ذكرته أن هناك شخصا يحتجز هذا الديوان لديه ويأبى أن يدفعه إلى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التي قررت طبعه ونشره .

وقد رأيت أنه لا بد — لحق الأدب ولحق اليتيم الذي تركه الشاعر — أن أذكر الحقائق التي تتعلق بهذا الموضوع والتي تتضمنها القصة العجيبة التالية :

على أثر وفاة الشاعر الفقيد توجه إلى منزله أخوه الشيخ محمد الزين القاضي الشرعي بمحكمة الزقازيق ، وهو يعلم أن أخاه الشاعر ترك ديوانه المجموع المخطوط وهو يحتوي على شعر نشر وشعر لم ينشر ، وتلطف الشيخ محمد مع زوجة أخيه التوفق ، وطلب منها الديوان ليطبعه وينشره ، فأسلمته إياه وهي واثقة من حسن نيته . ومرت الأيام ولم يطبع الشيخ الديوان ، وكلما سألته عنه زوجة أخيه أجابها بمختلف العاذير .

وفي خلال ذلك رأت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن تعمل شيئا لتخليد ذكرى صديقها أحمد الزين وتقدير جهوده في أعمالها الأدبية ، فقررت طبع ديوانه ونشره على أن تتنازل عن حصتها في ثمن ما يباع من الديوان لابنه الصغير . ثم سألت اللجنة عن الديوان لتبدأ في العمل ، فعلمت أنه لدى أخيه الشيخ محمد الزين ، فكتبت إليه بما قررته وطلبت منه أن يرسل إليها الديوان ، فلم تتلق منه أي رد إلى الآن رغم مضي نحو سنتين على هذا الطلب .

وتبينت السيدة مماطلة أخي زوجها وعم ولدها اليتيم ، في تسليم الديوان ، فلا هو طبعه ولا هو دفعه إلى اللجنة ، في الوقت الذي تشعر فيه بالحاجة إلى ما يساعد على ضرورات العيش ، وترجو أن تحصل من الديوان على شيء يضاف إلى الزر اليسير الذي تتبلغ به أسرة الشاعر الكبير ! وهنا موضوع آخر تبعث إثارته الألم والأسى ، أرجئ تناوله إلى وقت آخر .

تبينت السيدة ذلك ، فهالها الأمر ، وأحزنها أن يطوى ديوان زوجها الراحل الذي كان اسمه يملأ الآفاق في عالم الشعر العربي الحديث ، فراحت تتوسل إلى الشيخ بأصدقائه ، بعد أن أعياها رجاؤه ، دون أن يجدي ذلك شيئا . ولعلك تسألني : ماذا يقول الشيخ وبم يعلل موقفه ؟ قال لها مرة : إن الديوان عند رفعة النحاس باشا !! لأن رفعته ينوي عند ما يتولى الوزارة (وكان ذلك قبل أن يتولى رفعته الوزارة) أن يسدي إلى ذكرى الفقيد عارفة بطبع ديوانه على نفقة الحكومة . ولما تولى رفعة النحاس باشا الحكم استبشرت السيدة الطيبة القلب . ولكن ... مر الزمن الطويل ولم يظهر ما يدل على اهتمام الحكومة بالديوان ، فعاودت مفاتحة الشيخ في الأمر ليذكر رفعة النحاس باشا بوعده فاضطر إلى أن يقول لها إن الديوان ليس عند النحاس باشا . فبكت ورجت ، واستعطفت ، وهو ساكن ساكت حتى فرغت ، ثم نطق :

ـ أترين هذا الكرسي وهذه الكنبة وهذا الدولاب ؟

ـ نعم .

ـ هل أحست بشيء مما قلت .. ؟

ـ لا

ـ أنا كذلك !!

سبحان خالق الناس وقاسم الحظوظ وجاعل الأخ مختلفاً عن أخيه ! فقد كان الأستاذ الشاعر أحمد الزين وافر الحظ من دقة الإحساس ورقة المشاعر ، بل كان ذلك ثروته التي أودعها شعره ، ولعل بعض القراء يعرف أن الشيخ محمد الزين ينظم قصائد ويحاول أن يسير في ركب الشعراء فهل يحس أن شعره خال من الأحاسيس ويبغي أن يستمد من ديوان أخيه ما يسد به نقصه في الشعر ؟

وإذا كان الشيخ محمد الزين حسن النية نحو ذلك الديوان ،

فلماذا لا يوضح ما يريد أن يصنع به لأم اليتيم صاحب الحق الوحيد فى ديوان أبيه ؟ ولماذا لم يرد على اللجنة ليبين لها وجهة نظره فى الموضوع ؟

على أنه من حق الرأى العام أيضاً أن يقف على نية الشيخ إزاء هذا الديوان ، فهو أثر أدبى لشاعر من شعراء العصر ، يعد جزءاً من أدبنا المعاصر ، تجب صيانته من الضياع .

والشيخ محمد الزين قاض شرعى يحكم بين الناس بالعدل أفلا يستفتيك فضيلته أن تقاضيه أرملة أخيه أمام المحكمة وخاصة أن هناك شاهدين على أنه أخذ منها الديوان ؟

وهل يرضى معالى وزير العدل أن يحكم قاض من قضاة العدل بالحبس على ديوان شاعر يتعلق به حق يتيم ؟

وفاة برناردشو :

مات الكاتب العالمى الكبير جورج برناردشو يوم الخميس الماضى (٢ نوفمبر سنة ١٩٥٠) عن ٩٤ عاما ، وكان يعيش فى منزله الريفى بإحدى القرى الإنجليزية عيشة ظاهرها الهدوء والعزلة ، ولكنه كان يحيا بفكره وحسه وخواطره فى حياة الناس ، متجرداً من نوازع المحلية ، محلقاً فوق العالم كإنسان ممتاز . كان يكتب عن الإنسانية ، ويكتب لها ، فى كل مكان ، فشع أدبه للجميع ، وترجم إلى جميع اللغات الحية ، ومثلت مسرحياته على أهم المسارح فى مختلف الأقطار ، وقد مثل هو أكبر دور على مشهد من العالم أجمع ، وهو دور الكاتب الحر الذى كشف حجب الظلام وسخر من غرور الناس وانتصر للحق . ولم ننس ولا ننسى له — نحن المصريين — موقفه من حادثة دنشواى التى ندد فيها بوحشية الجيش الإنجليزى فى مصر ، ولا تبصيره إيانا بنيات قومه الإنجليز نحونا ونصحه بعدم الاعتماد على المباحثات السياسية واللجوء إلى الهيئات الدولية فى نيل استقلالنا وحريتنا ، قائلاً بأن السبيل الوحيد إلى ذلك هو أن نستخلص حقوقنا بأيدينا .

وقد كان برناردشو كاتباً ساخراً ولم يسلم الشعب الإنجليزى نفسه من سخريته ، وهو شعب ذو تقاليد ومقدسات ، ولكن شو لم يعبأ بذلك ، لأنه لم يكن إنجليزياً فقط ، بل كان فوق ذلك

كشكول الأسبوع

□ يتضمن برنامج زيارة معالى الدكتور طه حسين بك انجلترا — بعد افتتاح معهد فاروق الأول بأسبانيا — إذاعة أحاديث وبيانات باللغة الانجليزية من الإذاعة البريطانية، عن التعليم فى مصر ومجانيته وما تم على يدى معاليه فى هذا العام من تيسيره وتعميمه . ويتولى هذه الإذاعة محمد فتحى بك المذيع السابق بالاذاعة المصرية .

□ جاء ذكر زيارة معالى الدكتور طه حسين بك لانجلترا بندوة الأستاذ كامل كيلانى ، فقال الأستاذ على أيوب بك : إن انجلترا تحتفى بالدكتور طه لا لأنه وزير المعارف ، وإنما لأنه أديب كبير .

□ سمعت أخيرا من الاذاعة المصرية قصة للأستاذ سعيد العريان ، تتضمن علاقة بين متعلم قتير وغنى جاهل وقد لاحظت أنه جعل المتعلم فى النهاية يسير فى ركب الغنى ويفنى أثره . فهل هذا اتجاه جديد فى الأدب وفى الحياة ؟

□ كتب الأستاذ كامل الشناوى فى « الأهرام » كلمة عن برنارد شو قارن فيها بينه وبين أوسكار وايلد ، فقال : « عاش أوسكار كل دقيقة من حياته القصيرة عاش بالعرض، وعاش برناردشو بعض حياته المديدة ، عاش بالطول» وهذا المعنى ببعض ألفاظه قاله الأستاذ الزيات فى رثاء المرحوم على طه يوم وفاته ، فقد جاء فى افتتاحية الرسالة (العدد ٨٥٦) ما يلى : قضى على عمرد بالعرض لا بالطول ، وقدر عيشه بالكيف لا بالكم » وظاهر أن معنى قضاء الحياة بالعرض أنها حافلة بالأعمال أو اللذات ، وحياة « شو » كذلك وإن كان قد عاش طويلا . فالأستاذ الشناوى استهواه التعبير ولكنه لم يكن دقيقا فى استعماله .

□ أبدت البرتغال رغبتها فى انشاء معهد باسم جلالة الملك فاروق فى عاصمتها (لشبونة) أسوة بالمعهد الذى أقر إنشاءه فى إسبانيا .

□ انتهى موعد التقديم لمسابقة المجمع اللغوى الأدبية لسنة ١٩٥٠ — ٥١ فى أكتوبر الماضى ، وقد قدم لهذه المسابقة عشرة دواوين وأربعة أبحاث وست قصص، وتوالى لجنة الأدب بالمجمع فحص هذا الانتاج، وينتظر أن تفرغ منه فى أواخر ديسمبر القادم

إنسانا . وكان يعيش فى الحياة وكأنه فارق الأحياء ، يطل عليهم روحاً يضحك من أفعالهم ويسخر من أوضاعهم . ولم يزد موته على أن قطع ضحكه وسخريته عن الأسماع !

ولد برناردشو فى مدينة دبلن بإرلندا من أبوين فقيرين ، وقد رحل إلى لندن وهو فى العشرين من عمره ، ولاق فى أول حياته بها متاعب كأديب ناشئ ، لا يعبأ به ، ولا تجازيه الصحف على ما يكتب فيها إلا بالقليل ، ولكنه ظل يكافح حتى وصل إلى القمة ، وقد رفض الألقاب ، وأبى قبول جائزة نوبل المادية ، لأنه لم يعد بحاجة إلى شىء من ذلك . وقد شبه جائزة نوبل التى منحت له بطوق النجاة الذى يلقى إلى من وصل إلى الشاطئ .

مات برناردشو ، فكان لموته صدى فى أرجاء العالم ، واعتبرته كل أمة فقيدها ، لما له فى حياة العالم كله من آثار خالدة .

تحريف بيت لأبى العلاء :

كتبت السيدة « بنت الشاطئ » فى الأهرام يوم الأحد الماضى (٢٩ أكتوبر) مقالا بعنوان « عاشروا العالم أو فارقوا » قارنت فيه بين جمال البقاع فى أوربا وبين الإهمال والقذارة فى بلادنا . والذى يهمنا من هذا المقال ما ختمته به إذ قالت « ألا رحم الله أبا العلاء ، ما أكثر ما نذكر هنا قوله منذ أكثر من ألف عام :

هذى بضاع العلم معروضة فعاشروا العالم أو فارقوا

تأملت هذا البيت كما أوردته الكاتبة فلم أجد له معنى . ماهى أو ما هو « بضاع العلم » ؟ الذى نعرفه أن بيت أبى العلاء — وهو من اللزوميات — هكذا :

هذى طباع الناس معروفة فخالطوا العالم أو فارقوا

هذا هو « نص أبى العلاء » وفيه تظهر المناسبة بين طباع الناس على علاتها وبين مخالطتهم على ما هم عليه أو مفارقتهم . وهذا المعنى العلائى لا ينسجم مع مضمون المقال الذى سبقت الإشارة إليه ، فلا بد إذن أن الكاتبة الفاضلة أرادت أن تطوعه بمناسبة ما عرضته ، ولكنه بالصورة التى ظهر بها غير مفهوم على أى حال . قلت فى نفسى : لا بد أنها أرادت أن تجعل البيت هكذا :

هذى بقاع العالم معروضة فعاشروا العالم أو فارقوا

أى أن تلك البقاع الأوربية التى زارتها وأعجبت بها هى التى وصفت ، وعلينا نحن المصريين — أن نجعل بلادنا مثلها إذا أردنا أن نكون مثل ذلك العالم الراقى ، أو ... لست أدرى ماذا نفعل ..

وجاءت المطبعة فجعلت « بقاع » — « بضاع » ، وجاء المصحح فوجد البيت مكسورا ولمح موضع الكسر فى كلمة « العالم » فجعلها « العلم » ليستقيم الوزن ، ولعله رأى خلو العبارة من المعنى ولكنه آثر أن يكون البيت موزونا ولا معنى له على أن يكون كذلك وهو مكسور ، وأمر واحد أخف من اجتماع أمرين .

وعلى ذلك ظهر البيت كما ظهر ، وإذا لم يكن هذا الافتراض صحيحاً فماذا عسى أن يكون ؟ !

ثم ذكرت يوما حضرت فيه مناقشة رسالة قدمتها الكاتبة الأديبة لنيل درجة الدكتوراه ، موضوعها تحقيق نص رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، وقد شرحت للجنة الامتحان ما لقيته من عناء فى ذلك التحقيق وأكدت محافظتها فى النص وتقديسها إياه ، وكانت تجيب على بعض الأسئلة بأن « النص هكذا » وقد أفرطت فى ذلك حتى خلنا أن « المنهج الجامعى » الذى سارت عليه ليس مقابرا (للفوتغرافيا) ولم يكن ذلك فقط ، بل إنها حملت على من سبقوها فى تحقيق رسالة الغفران لأنهم « لم يحافظوا على النص » وشغلت بهذه الجملة نحو سبعين صفحة من الرسالة ، مما جعل الدكتور طه حسين بك رئيس اللجنة يصفها بالزهو والغرور .

فما بال الدكتورة قد تخلت عن منهجها فى المحافظة على النص إذ نسبت إلى أبى العلاء ما لم يقله ! لقد تحدث أبو العلاء عن طباع الناس وخبر بين معاشرتهم على علاتهم أو مفارقتهم ، والمحقق أنه لم ير بقاع سويسرا حتى يحثنا على التشبه بأهلها ، ولو لم تقل الدكتورة « منذ أكثر من ألف عام » لفرضنا أن ثمة شاعراً آخر معاصرا غير المعرى اسمه أبو العلاء ...

ولو أن أحداً آخر غير الدكتورة فعل ذلك ببيت أبى العلاء ، لكان الأمر أهون ، لأنها ترى بل تعتز بالمحافظة على « النص » والشأن كما قال أبو العلاء فى أول الأبيات التى جاء فيها ذلك البيت :

ما ركب المأمون فى فعله أقبح مما ركب السارق

فسرقة السارق المعتاد على السرقة أمر عادى ، أما المأمون المفروض فيه الأمانة فخيانته لا تغتفر . والدكتورة لما علمناه من حرصها على النص ، فى مكان « المأمون » فلم يكن يليق بها أن تصنع ببيت أبى العلاء ما صنعت .

عباس مضر